تاريخ الفلسفة
الوضعية المنطقية 76
بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

لقد تبنى برتراند راسل النزعة العلمية، التي سعى إليها علماء مثل كانط وميل، رغبةً منهم في تعميم استخدام المنهج العلمي، وتحديدًا المنهج الاستنباطي الافتراضي، أي ذلك التوسع الشامل للأسلوب العلمي في التفسير. ثم طور راسل هذه النزعة بمزيد من الدقة التقنية من خلال ذريته المنطقية، والتي لاحظتم أنها تفترض ضمنيًا وجود ميتافيزيقا ذرية أيضًا. وسنرى كيف سيؤثر ذلك على نقاشنا اليوم. ثم عاد فيتغنشتاين إلى هذه النزعة في على نحو مشابه جدًا (Tractatus) "كتابه "رسالة منطقية فلسفية.

يستمر المذهب الوضعي المنطقي في التركيز على الوضعية التي سادت في القرن التاسع عشر. في ذلك القرن، صاغ كانط هذا المصطلح لوصف المرحلة الوضعية الثالثة، حيث نتعامل مع بيانات تجريبية موضوعية ذات طابع علمي، ونسعى إلى صياغة تعميمات تجريبية ذات قدرة تفسيرية. وهكذا، يستمر هذا التركيز الوضعي على البيانات التجريبية الموضوعية، ويستمر موضوع وحدة العلم الوضعية، ولكن مع إضافة كلمة "منطقي"، أي الصفة المنطقية، ليصبح المذهب الوضعي المنطقي، وذلك للتأكيد على تأثير تركيز راسل على الاستخدام المنطقي، والشكل المنطقي للغة.

إذن، تعود جذور الوضعية المنطقية في القرن العشرين إلى أمثال كانط وميل ومارك. كانت هناك حلقة فيينا، أو بالأحرى حلقة فيينا ، التي ازدهرت في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين، والتي شكلت التطور القاري لهذه الحركة. أما التطور الإنجليزي فكان بمثابة امتداد لحلقة فيينا ، ثم شاع بفضل إيه جيه آير في كتابه "اللغة والحقيقة والمنطق" .

ضمن حلقة فيينا، نجد شخصيات مثل موريتز شليك ورودولف كارناب. هذه الأسماء مذكورة في الأدبيات، وهي تُعدّ من أهمّ سمات حلقة فيينا، التي انضمّ إليها فيتغنشتاين بعد تركه أكسفورد وعودته إلى النمسا. لكنّ أهمية حلقة فيينا تكمن في دورها الرائد في تطوير الحركة من نوعٍ ساذجٍ من التجريبية إلى منهجٍ يُقرّ بأنّ التمييز بين الحواس والبيانات والأشياء المادية يُؤدّي إلى توجّهٍ نحو نظرية معرفية ظاهراتية.

وثمة من أقرّ بأنه لا يمكننا دائمًا التحقق تجريبيًا بشكل مباشر من عبارة تبدو تجريبية، بل أحيانًا يكون التحقق غير مباشر، وذلك من خلال الآثار المنطقية لتلك العبارة بالاقتران مع تأكيدات أخرى. لكن حلقة فيينا أرست الأساس. والآن، سواء في حلقة فيينا أو في فكر أي. جيه. آير، فإن الأساس، الأساس الحاسم، هو ما منحها تأثيرها المميز، والذي أدى زواله إلى زوال الوضعية المنطقية.

يكمن التميّز في نظرية التحقق من المعنى. والآن، دعوني أؤكد أنها ليست نظريةً لكيفية التحقق من الحقيقة؛ إنها ليست نظريةً للحقيقة، على الرغم من استخدام مصطلح التحقق. إنها تتعلق بمعنى اللغة ؛ إنها نظريةٌ حول اللغة.

ويمكنك فهم النظرية ببساطة من خلال النظر إلى هذا الرسم البياني، حيث تُستخدم اللغة بشكل أساسي في مجالين: معرفي وغير معرفي. فهناك أنواع عديدة من التعبيرات غير المعرفية، كالتعبيرات العاطفية، والأسئلة، والصراخ، والعبارات التعبيرية. ومن جهة أخرى، نجد العبارات المعرفية، نعم، العبارات المعرفية تُصاغ، وهي نوعان من العبارات: التركيبية والتحليلية، وهو ما يبدو وكأنه عودة إلى أفكار ديفيد هيوم.

العبارات التركيبية، كونها حقائق واقعية، يُتوقع أن تكون قابلة للتحقق التجريبي. أما العبارات التحليلية، التي يكون فيها المحمول مُضمنًا منطقيًا في الموضوع، فلها معنى شكلي بحت، بمعنى أنها تتحدث ببساطة عن

،الاستخدام المنطقي للموضوع والمحمول .ومن هذا النوع الأخير، نجد التعريفات، والتكرارات المنطقية .وربما، بحسب المذهب الوضعي المنطقي، نجد العبارات الرياضية

لكن أساسًا، أي عبارة تتخذ الشكل المنطقي لقوانين الفكر، مثل "أ يساوي أ"، أو "أ ليس غير أ"، تتضمن تعريفًا وتكرارًا منطقيًا .وإذا ما اعتُبرت العبارات الرياضية تحليلية وليست تجريبية، كما اعتقد ميل، فإنها تُعتبر .جزءًا من هذه النظرية أيضًا .أما نظرية التحقق، فهي نظرية تُعنى بمعنى العبارات الواقعية

هذا هو محور التركيز .وقد صاغ ستامبف هذه النظرية، على سبيل المثال، حين قال إن معنى العبارة الواقعية .هو طريقة التحقق منها .فالمعنى هو طريقة التحقق

.قد لا يكون هذا التوضيح مفيدًا للغاية، إلا أنه يُبرز أهمية الإجراءات التجريبية، وإجراءات التحقق التجريبي وبشكل أدق، يكمن معنى العبارة التجريبية في مرجعها، أي في إشارتها إلى البيانات التجريبية، سواء أكانت هذه البيانات متوفرة بالفعل أم بيانات تجريبية محتملة .لذا، فإن طريقة التحقق مهمة لأنه يجب معرفة كيفية .الإشارة إلى البيانات لتحديد نوع البيانات التي تشير إليها العبارة

.لذا، تُعدّ طريقة التحقق أساسية للتأكد من صحة أي معلومة واقعية .والآن، تبدأ الفروقات الأخرى بالظهور فإذا قرأتَ مقدمة هذه الطبعة الثانية، ستجد أن مقدمتي أكثر تآكلاً من مقدمتك، ولكنك ستجد أن آير يُميّز .بين التحقق المباشر وغير المباشر

،لذا فإن عبارة "أرى منزلاً "قابلة للتحقق المباشر .ولأنها قابلة للتحقق المباشر، فهي تحمل معنى واقعياً .بغض النظر عن صحتها أو خطئها

معناها بحيث يمكنك، إن شئت، التحقق من صحتها أو زيفها، لكن هذا الأمر متروك للعلماء ؛ إذ يمكنك التأكد من صحتها أو زيفها إذا كنت تعرف طريقة التحقق .أما اهتمام الفيلسوف فينصبّ ببساطة على التأكد .من كونها عبارة ذات دلالة واقعية .ولتحقيق ذلك، كل ما عليك معرفته هو وجود طريقة ممكنة للتحقق

من جهة أخرى، يتطلب التحقق غير المباشر مقدمات أخرى تستلزم عبارات قابلة للتحقق المباشر، لا يمكن استنتاجها من عبارة معينة وحدها .خذ، على سبيل المثال، عبارة مثل :هذا المفتاح مصنوع من الحديد .هذا .المفتاح مصنوع من الحديد

الآن وقد رأيت مفتاحًا يمكن التحقق منه مباشرةً، فإن التأكد من كونه مصنوعًا من الحديد يتطلب، لأغراض التحقق، طرقًا لتحديد نوع المعدن .لذا، وبالاقتران مع هذه المقدمات الإضافية، يمكن استنتاج بعض .الملاحظات التي قد تؤكد بشكل غير مباشر أن هذا المفتاح مصنوع من الحديد

إذن، التحقق المباشر أو غير المباشر .وقد شدد كارناب كثيراً على أهمية التحقق غير المباشر في العلوم .هذا .أحد الفروقات

في الفصل الأول، يميز آير أيضاً بين الأمرين عملياً .فمن الممكن عملياً أن أرى غرفة مليئة بالوجوه أمامي .لكن .من الممكن نظرياً فقط أن تنمو الفطريات على الجانب الآخر من القمر

أو أن كليوباترا ارتدت ثوبًا أحمر في عيد ميلادها الحادي والعشرين .بمعنى آخر، لو استطعنا السفر إلى ،الجانب الآخر من القمر، لعرفنا الإجراءات اللازمة للمراقبة .ولو استطعنا العودة بالزمن إلى زمن كليوباترا .والاطمئنان عليها في عيد ميلادها الحادي والعشرين، لتمكّنا من التأكد من أنها ارتدت ثوبًا أحمر في ذلك اليوم

هذا البيان قابل للتحقق من حيث المبدأ .لذا، كما ترى، فإن مبدأ قابلية التحقق يسمح بقبول البيانات ،التاريخية، والبيانات المتعلقة بالمستقبل، والبيانات المتعلقة بما هو مستحيل تقنيًا، أي غير ممكن عمليًا .ولكنه ممكن من حيث المبدأ .أما ما يرفضه فهو البيانات التي لا يمكن التحقق منها تجريبيًا على الإطلاق

،أي بعبارة أخرى، عبارات ميتافيزيقية عن حقيقة في ذاتها إنها متميزة عن كل المظاهر .وأقول حقيقة في ذاتها لأنه عندما تقرأ الفصل الأول من كتاب آير حول استبعاد الميتافيزيقا، تبدأ في إدراك أن نوع الميتافيزيقا الذي يستبعده هو نوع برادلي، حيث ميّز برادلي، الهيغلي، بين الواقع ودرجات مظهره المختلفة .فالحقيقة في ذاتها .غير قابلة للإدراك التجريبي

إن الحديث عن ذلك لا يمكن التحقق منه تجريبياً .سيُستبعد هذا الادعاء الميتافيزيقي .لكن المظاهر .المختلفة، بطبيعة الحال، قابلة للتحقق تجريبياً

لذا، لا إشكال في الحديث عن المظاهر .لكن الميتافيزيقا التي تُستبعد هي تلك التي تُميّز بين الشيء في ذاته .والشيء المنبثق منه، بين الحقيقة الكامنة وعالم المظاهر

.ثمة تمييز ثالث، يذكره في الفصل الأول، الصفحة 37 .وهو التمييز بين التحقق القوي والتحقق الضعيف

.سيكون التحقق القوي حاسماً .سيمنحك اليقين .وهو ما يرغب فيه أصحاب الأسس الراسخة

يُمكن الاكتفاء بالتحقق الضعيف بالاحتمالية .والآن، يُرحب آير تمامًا بتعريف مبدأ قابلية التحقق، الذي يسمح بالتحقق غير المباشر، والتحقق من حيث المبدأ وليس بالضرورة من حيث التطبيق، والتحقق .الضعيف بدلًا من التحقق القوي .ضع ذلك في اعتبارك

إنه أمر بالغ الأهمية .والآن، اسمحوا لي أن أعلق على أنواع الردود التي واجهها مبدأ التحقق هذا .لأنه في .غضون عقدين من الزمن، كان لا بد من إعادة صياغته تحت وطأة الانتقادات

في الواقع، بعض هذه الفروقات التي طرحها آير كانت فروقاتٍ أُدخلت استجابةً للنقد، وتحديدًا النقد الموجه لمعيار تجريبي ضيق للغاية .وفي نهاية المطاف، كان النقد الموجه لمبدأ التحقق هذا هو الذي أدى إلى زوال .الوضعية المنطقية

،كان أحد الانتقادات الأولى هو أن التعميمات التجريبية غير قابلة للتحقق حتى من حيث المبدأ .بمعنى آخر .مع أي تعميم، توجد دائمًا حالات محتملة أخرى غير قابلة للتحقق

.وبالتالي، فإن أي تصريح حول جميع أفراد فئة واسعة النطاق سيكون، وفقًا لمبدأ التحقق، بلا معنى واقعي وكان الرد على ذلك هو الادعاء بأن ما نحتاجه هو مبدأ قابلية التكذيب .أي أن التعميم التجريبي قابل .للتكذيب دائمًا من حيث المبدأ

إذا استطعتَ إيجاد حالة سلبية واحدة، فقد دحضتَ التعميم .جميع الكريتيين كاذبون .الآن، ابحث عن .كريتي أصيل واحد ليس كذلك

،وقد زيفتَ العبارة العامة .وهذا يعني أنك ببساطة تريد أن تكون الفرضية، أو العبارة التي يُفترض أنها واقعية .قابلةً للتحقق أو للتفنيد .أي قابلية التحقق أو التفنيد، أو ما شابه، لكي يكون لها مرجع تجريبي

قد تتساءل :لماذا لا نكتفي بشرط إمكانية التكذيب؟ حسنًا، الأمر هو أنه بينما لا يمكن التحقق من صحة التعميم التجريبي، فإنه قابل للتكذيب ؛ أما الادعاء الفردي حول حالة معينة فهو قابل للتحقق، ولكنه ليس .قابلاً للتكذيب دائمًا .فكما ترى، هناك حقيقة ما، ولكنها ليست قابلة للتكذيب دائمًا

كيف يمكنك التأكد من عدم وجود شخصٍ بهذه المواصفات يختبئ كلما بحثت عنه؟ لذا، أنت بحاجة إلى كلٍّ من إمكانية التحقق وإمكانية دحض الادعاء .أما الانتقادات الثانية فتتعلق بوضع معيار التحقق نفسه .إذ .يقول الوضعيون إن جميع العبارات إما تركيبية أو تحليلية، واقعية أو شكلية

ما هو بيان مبدأ التحقق؟ هل مبدأ التحقق بيان واقعي؟ هذا هو معنى المعنى بالفعل .أم أنه بيان شكلي؟ تحليلي ؟ حسنًا، يتضح جليًا أن نظرية التحقق ليست بيانًا تجريبيًا قابلًا للتحقق أو التكذيب عبر الإجراءات التجريبية .كان لي أستاذ في الدراسات العليا في الخمسينيات من القرن الماضي، قال، لتوضيح هذه النقطة، إن .الناس قصدوا شيئًا آخر بالمعنى عبر التاريخ

بمعنى آخر، لو كان هذا وصفًا تجريبيًا للمعنى الواقعي، أي أن المعنى الواقعي الوحيد مرتبط بالأشياء والبيانات التجريبية، لكان من المستحيل على الناس إيجاد معنى لأشياء تشير إلى أنواع أخرى من الكيانات .وهذا ما .يحدث بالفعل .فقد وجد أفلاطون أن الحديث عن الصور الحقيقية ذو مغزى كبير

،يجد اللاهوتيون أن الحديث عن الله ذو مغزى كبير .ولا يمكن التحقق من أيٍّ من هذين الأمرين تجريبياً .لذا .فمن الواضح أنهما إما بيان خاطئ واقعياً أو ليسا بياناً واقعياً

الآن، فهم آير المغزى .وهو يتراجع عن ادعائه بأنها عبارة واقعية حول معنى العبارات الواقعية، ويؤكد بدلاً .من ذلك أنها شرط منهجي

،بمعنى آخر، هي قاعدة يتبناها الوضعيون لأغراض منهجية .حسنًا، إذا كان الأمر كذلك، ولا ترغب في تبنيها .فلا داعي لذلك .وبالتالي، يفقد مبدأ التحقق سلطته على الخطاب الفلسفي

أترى ؟ إذا كنت ترغب في أن تكون تجريبيًا، إذا كنت ترغب في أن تكون وضعيًا ، فهذا مبدأ جيد للعمل به .أما .إذا كنت لا ترغب في أن تكون وضعيًا ، فمن الواضح أنه ليس من الضروري أن تتبناه .وبدأت العاصفة تهدأ

أترى ؟ إنه ليس تعريفاً بالمعنى الدقيق، بل هو أقرب إلى مبدأ اعتباطي .ومجرد كونه شائعاً في العلوم .التجريبية لا يعني أنه ينطبق على جميع الحقائق

لكن ذلك أدى إلى ظهور خط ثالث من الانتقادات .فمبدأ التحققية قد طُوِّر على افتراض أنه المبدأ السائد في .العلوم التجريبية .إلا أننا بدأنا نشهد تطورات في فلسفة العلوم أوضحت أن العلوم ليست تجريبية بحتة

وبالتالي، فإن هذا ليس حتى المبدأ الذي ينطبق على العلوم التجريبية .الآن يمكنك أن تتوقع ماهية تلك .التطورات .لقد كانت التطورات التي بدأت في الاعتراف بالذاتية في العلوم الطبيعية

تطورات بدأت تتأثر بشبكات كانط القبلية .الثورة الكوبرنيكية في العلوم الطبيعية .تطورات بدأت ترفض .التبسيط المفرط للمنهج الاستنباطي الافتراضي

وأود أن أذكر ثلاثة أو أربعة من هذه الأعمال .أحدها كان من تأليف رجل يُدعى نوروود هانسون، وهو كتاب ."له بعنوان "أنماط الاكتشاف

درّس هانسون في جامعة ييل تاريخ وفلسفة العلوم .وقاده بحثه التاريخي إلى استنتاج مفاده أن جميع الملاحظات محملة بنظريات .ولا يشترط أن يكون لديك فهم متعمق للمنهج العلمي .لكي نرى ذلك.

لا يقف العالم مكتوف الأيدي يحدق في جميع البيانات المتاحة، بل يأتي بفرضية عمل .وبناءً على هذه الفرضية، تتحدد أهمية البيانات التي يجمعها.

وهذا بدوره يُستدل عليه من خلال نظرية .بعبارة أخرى، هناك عوامل مفاهيمية سابقة تحدد البيانات التي تأخذها في الاعتبار .ملاحظات مُحمّلة بالنظرية.

المثال الثاني هو مثال ربما تكون أكثر دراية به .توماس كون .عمله حول بنية الثورات العلمية.

نُشر في خمسينيات القرن العشرين .وفيه، انطلاقاً من تاريخه في دراسات العلوم، بدأ يدرك أن النظرية جزء من نموذج مفاهيمي أوسع بكثير، وأن الثورات العلمية تحدث عند حدوث تحولات في هذا النموذج.

التحول من علم الكونيات البطلمي إلى علم الكونيات الكوبرنيكي .إنه تحول جذري في المفاهيم .ويشير إلى أنه قد تحدث فترات من التزايد التدريجي للمعرفة العلمية، بشكل تراكمي، ضمن هذه المفاهيم.

وبناءً على هذه النماذج، قد يبدو أن هناك إمكانية للتحقق التجريبي من بعض النظريات الناجحة، رغم أنها مُقترحة ضمن هذه النماذج .ولكن عند حدوث تحول في النموذج، يصبح هناك إطار تفسيري مختلف.

ولا يحدث التحول النموذجي بسبب قوة الأدلة التجريبية، بل يحدث نتيجةً لتنامي حالة من عدم الرضا داخل المجتمع العلمي، غالباً لأسباب غير تجريبية، تجاه النموذج السائد، الذي قد يفتقر إلى القدرة التفسيرية.

قد يفتقر إلى التماسك .وقد يتبين أنه معقد بلا داعٍ، فنختار بدلاً منه حلاً أبسط .وهكذا دواليك.

وهكذا يرفض توماس كون سيطرة النزعة التجريبية الموضوعية البحتة على العلم .والمثال الثالث هو مايكل بولاني، وهو فيلسوف علم بولندي كان يُدرّس في بريطانيا.

وقد طور مايكل بولاني عمله في كتابين رئيسيين .أحدهما بعنوان "البعد الضمني ."والآخر بعنوان "المعرفة الشخصية".

في كلتا الحالتين، تكشف العناوين عن بعض المعاني .يُبيّن كتاب "البُعد الضمني "بوضوح وجود جوانب ضمنية متنوعة للمعرفة البشرية لا تُفسّرها البحوث التجريبية .في إدراكنا اليومي، نمتلك رؤية محيطية.

وهو أمر لا يخطر ببالك عادةً، إلى أن يذكره أحدهم فيُعيده إلى ذهنك .لذا، وأنا أنظر إلى هنا، أُدرك بشكل غير مباشر أن ديفيد ما زال هنا.

يوجد دائماً هذا النوع من الوعي المحيطي .ليس فقط بصرياً بل ذهنياً أيضاً .إنه جزء من السياق الأوسع للكيان الكلي الذي نلاحظه.

لذا فإن الدراسة التجريبية الموضوعية المركزة لا تقدم سوى جزء من الحقيقة .وفي بحثه حول المعرفة الشخصية، يتحدث عن البُعد الشخصي للمعرفة ، والذي يؤثر على الدافع، واختيار موضوع البحث، والانتقائية، وما إلى ذلك.

إذا أردتَ أحيانًا أن تختبر بنفسك فكرة أن العلم موضوعيٌّ تمامًا وغير شخصي ، فاسأل عالمًا عن سبب انخراطه في العلم .فعلتُ ذلك مرةً مع صديقٍ كيميائي .سألته" :لماذا الكيمياء؟ ولماذا هذا النوع من الاهتمام البحثي بالكيمياء؟ "وستحصل في كل مرة على إجاباتٍ إما على أحكامٍ جمالية أو أحكامٍ قيمية أخرى.

بمعنى آخر، هناك دائمًا بُعد شخصي حاضر .ولهذا السبب، فإن التقدم العلمي غير قابل للتنبؤ .لأننا لا نعرف أبدًا ما قد يكون عليه البُعد الشخصي، أو حتى البُعد الاجتماعي والاقتصادي الذي يُحرك بعض الأبحاث العلمية.

لذا، ضع في اعتبارك بولاني .ثم، في الآونة الأخيرة، لدينا فييرابند، الذي يتبنى تفسيراً تقليدياً للعلم .أي أن النظريات العلمية ليست سوى طرق تقليدية يستخدمها العلماء للتعبير عن الأشياء.

إن هذا النهج التقليدي نسبيٌّ تماماً .فالعلم لا يُخبرنا عن الواقع .وهذا هو مناهضة الواقعية في العلم.

الآن، مع تلك التطورات التي بدأت في الأربعينيات واستمرت حتى الستينيات، بدأنا نلاحظ رفض فكرة أن التفسير العلمي برمته هو تفسير موضوعي تجريبي بحت، قائم على قوانين عامة شاملة وتعميمات تجريبية وأن المعرفة العلمية تُثبت تجريبياً دائماً، أو على الأقل قابلة للتحقق من حيث المبدأ .لكن يبدو أن هذا ليس هو الحال.

وهكذا تبدأ أطروحة النزعة العلمية برمتها بالانهيار .هذا هو ما بعد الحداثة في فلسفة العلم .والآن، هناك اعتراض رابع ستجده في كتاب ستامبف.

،عندما يُعرّفك، ربما تكون قد قرأتَها بالفعل، وآمل ذلك، على دبليو في أو كواين، فيلسوف جامعة هارفارد الذي شكّلت مقالته الشهيرة حول عقيدتي التجريبية علامةً فارقةً في انهيار الوضعية المنطقية .عقيدتا التجريبية .إحداهما هي الاختزالية.

الاختزالية .محاولة اختزال كل المعرفة إلى تعميم تجريبي .مبدأ التحقق هو اختزالي بهذا المعنى.

إنها محاولة لاختزال جميع الحقائق إلى حقائق قابلة للتحقق تجريبياً .الاختزالية .وهو يرفض ذلك انطلاقاً من رأيه بأن الملاحظات متأثرة بالنظرية، وليست موضوعية تماماً ومحايدة نظرياً.

المبدأ الثاني للتجريبية هو ما يسميه ثنائية التحليل والتركيب .وبكل وضوح، يرتكز مبدأ التحقق على فكرة أن بعض العبارات تركيبية، وبعضها الآخر تحليلي، ولا يلتقي هذان النوعان أبدًا .فهما فئتان منفصلتان.

ثنائية .نوعان مختلفان، منطقياً، من القضايا .وما يفعله كواين هو أن يجادل بأن هذه الثنائية تنهار.

الأمر نسبي، ويعتمد على السياق .فمثلاً، إذا أخذنا، وهذا ليس مثاله، عبارة "الله خير"، فقد تبدو هذه العبارة، ظاهرياً، حقيقةً واقعية، وهو ما يرغب الوضعيون في إثباته تجريبياً .لكن آير يرفضها لأنها ليست كذلك.

ليس هذا بيانًا واقعيًا بالمعنى الحرفي .ولكن، في سياق الخطاب اليهودي المسيحي، هل يُقصد به أن يكون "بيانًا تجريبيًا واقعيًا؟ أليس هو بالأحرى بيانًا تحليليًا من وجهة نظر لاهوتية؟ إن المعنى الحقيقي لكلمة "الله ،ليس فقط في التراث اليهودي المسيحي، بل في التراث الأفلاطوني أيضًا، هو أن الله هو الخير المطلق .لذا، فإن القول بأن الله خير، في هذا السياق، هو بيان تحليلي.

والآن، أيّهما الصحيح؟ حسنًا، يمكن أن يُستخدم كلا المعنيين، في سياقات مختلفة .إذا كنت تتعامل مع شخص تجريبي بحت يعتقد أن كلمة "الله "خالية من أي معنى من هذا القبيل، فقد يبدو الأمر وكأنه بيان محايد وواقعي .ولكن إذا كان لكلمة "الله "أي معنى على الإطلاق، في أي دين رئيسي، فهو يتعلق بمفهوم الله باعتباره الخير المطلق.

وهكذا، فإن ما يفعله كواين هو إدراك هذا النوع من الأمور، في مجموعة متنوعة من الحالات، ورفض الثنائية. بل إنه لا ينظر إلى المعرفة الإنسانية على أنها مجموعة من القضايا المنفصلة، التي نربطها ضمن نظام استنتاجي، على طريقة برتراند راسل .ليس الأمر كذلك.

لا ينبغي بناء المعرفة على نظام استنتاجي .بل هي أقرب إلى شبكة من المعتقدات .والفرق، بالطبع، هو أن النظام الاستنتاجي ينتقل بدقة عسكرية تقريبًا ، من قضية إلى أخرى، وهكذا دواليك.

الاستدلال المنطقي .أما شبكة المعتقدات فهي شبكة من القضايا الداعمة لبعضها البعض، منسوجة بطرق متنوعة لا يمكن صياغتها بدقة في الأنظمة الاستدلالية .إنها شبكة من الفرضيات المترابطة التي نبنيها.

بمعنى آخر، فإنّ مجموعة المعارف التي نمتلكها تتسم بالتماسك .التماسك بمعنى أنها موحدة ومترابطة. التماسك بمعنى أنها متسقة مع ذاتها ومكتفية ذاتياً.

لكنها وجهة نظر قابلة للخطأ، إذ قد نكون، بسبب الطبيعة النموذجية للفكر، نتعامل مع نموذج خاطئ إلى حد ما .وبالتالي، قد يختلف النمط العام للعلاقات المتبادلة عما نعتقد .وإلى جانب قابلية الخطأ والتماسك، اللذين يوفران بعض التبرير، يقدم تبريراً عملياً لشبكة المعتقدات.

من المفيد التفكير بهذه الطريقة .وأعتقد أن أساس تبريره العملي ينبع من العلوم .بمعنى آخر، يتم اعتماد نمط من الفرضيات العلمية واعتباره صحيحًا على الأرجح لأنه مثمر، إذ يُمكّن من اقتراح فرضيات أخرى، ووضع برامج بحثية، وإجراء البحوث.

يفتح ذلك الطريق أمام أمور أخرى، لذا فإن لمثل هذا الأمر قيمة عملية .حسنًا، إذا رفضتَ ثنائية التحليل والتركيب، فسيتضح جليًا أن المخطط الوضعي برمته بدأ ينهار.

أما النقد الأخير الذي أود الإشارة إليه فقد جاء من فيتغنشتاين نفسه .فيتغنشتاين، الذي كان في عمله السابق، "رسالة منطقية فلسفية"، أقرب إلى ذري منطقي من نوع راسل، ويبدو أنه كان من أنصار مبدأ "التحقق .وفي عام 1945، نشر عمله الرئيسي الثاني، "تحقيقات فلسفية".

لذا، عندما نتحدث عن فيتغنشتاين المتأخر، فإننا نشير إلى هذا العمل" :التحقيقات الفلسفية ."ينتقد فيه النزعة الوضعية في أعماله السابقة بطرق مختلفة.

أحدها أن نظرية الصورة للمعنى، كما سماها ، أي نظرية التحقق، تفتقر إلى أي معنى واضح .يبدو الأمر وكأن نظرية التحقق غير ذات معنى .إنه نفس النقد.

هو يُقرّ بذلك .إلا أنه يُضيف إليه شكوى مفادها أن الإصرار على لغة منطقية مثالية، كما تتذكرون، نميّز بين فلسفة اللغة المثالية وفلسفة اللغة العادية، والإصرار على لغة منطقية مثالية من النوع الذي أراده راسل، حيث توجد قضايا ذرية تُشير إلى حقائق ذرية، هو أمرٌ مُصطنع للغاية .مُصطنع للغاية.

إنها مصطنعة لأن اللغة ببساطة لا تتناسب مع هذا القالب الاختزالي الضيق .كما ترى، وهذا يتردد صداه مع نفس نقد كواين .فاللغة لا تتناسب مع هذا القالب الضيق.

على النقيض من ذلك، عندما ننظر إلى استخدام اللغة العادي، أي الطريقة التي يستخدم بها الناس العاديون اللغة، حتى العلماء عندما لا يتحدثون بلغة علمية متخصصة، نجد أنها أكثر تنوعًا بكثير .أكثر تنوعًا بكثير من مجرد كونها معرفية أو غير معرفية .وإذا كانت معرفية، فهي إما واقعية أو رسمية.

أكثر تنوعًا من ذلك بكثير .فالاستخدام اللغوي العادي، في نهاية المطاف، تطور عبر قرون من التجربة والخطأ والتمحيص ؛ لقد جُرِّبَ وأثبت جدواه على مر العصور .لذا، ما يفعله هو التحدث؛ بدلًا من وجود تعدد في أساليب استخدام اللغة.

كما أوضحتُ الآن وجهة نظر كواين من خلال عبارة "الله صالح"، والتي يمكن اعتبارها على ما يبدو إما جملة تركيبية أو جملة تحليلية .لذا، قد تلاحظ أن عبارة "الله صالح "تُستخدم بالفعل في سياق رعوي معين، أي من قِبل راعٍ يحاول مواساة أرملة ثكلى.

إنّ العبارة المستخدمة في ذلك السياق لا تقتصر وظيفتها على مجرد تقديم معلومات واقعية وموضوعية ،وعلمية، أو على تقديم تعريف أو تكرار لا طائل منه .بل إنّ اللغة تهدف إلى أداء وظيفة اجتماعية، أو رعوية .كما كنت سأقول

.سترى بنفسك .تنوع في ألعاب اللغة .لأن هناك تنوعاً في أشكال الحياة

بمعنى آخر، الألعاب التي نمارسها في حياتنا اليومية .ماذا نفعل في الحياة؟ والتحليل الذي نريده إذن هو ،تحليل وظيفي لا تحليل منطقي .تحليل لا يعتمد على منطق اللغة الذي يفرض علينا أطرنا الوضعية الضيقة .بل على الوظائف الفعلية التي تؤديها اللغة في الخطاب اليومي

قد تقول إن الأمر أشبه بتحوّل فيتغنشتاين من عالم رياضيات وباحث إلى عاشق للعلوم الإنسانية .كأنه كان يقرأ بعض الأدب أثناء غيابه .سترى بنفسك.

تنوع أساليب اللغة .وهذا التوسع في الأفق ليشمل طرقًا أخرى لاستخدام اللغة غير التجريبية أو التحليلية، هو ما يبدو أنه قضى أخيرًا على الفلسفة الإنجليزية .لذا، بحلول منتصف الخمسينيات، أعتقد أنه من الإنصاف القول إن فلسفة اللغة التقليدية كانت هي السائدة في الجامعات البريطانية.

كانت النزعة الوضعية اللاهوتية سائدة قبل خمسة عشر عامًا .ماذا حدث خلال هذه الفترة؟ حسنًا، ردود الفعل الفلسفية هذه .ولكن بالإضافة إلى ذلك، الحرب العالمية الثانية.

ولا أظن أن من قبيل الصدفة أن الحضارة الغربية لم تستطع تجاوز صدمة الحرب العالمية الثانية دون أن تكتشف مدى هشاشة التحليل الوضعي للغة من حيث المعنى .سترى ذلك بنفسك .وبالتالي، تتسع آفاق التوقعات.

سيتضح أحد العوامل المؤثرة الأخرى في هذا التحول عند قراءة كتابات إيه جيه آير .لديّ هنا صفحتان من سيرته الذاتية يشير فيهما إلى هذا التأثير .دعوني الآن أقرأ فقرتين منها.

بالمناسبة، انبهرتُ بقراءة سيرته الذاتية قبل بضع سنوات، إذ تبيّن لي أنه كان يعمل خلال الحرب العالمية الثانية في جهاز الاستخبارات المضادة البريطاني .بدأ عمله في فرنسا التي كانت تحت الاحتلال الألماني، ثم

شارك لاحقًا في فكّ الشفرات الألمانية في قاعدة تحليلية حاسوبية رائدة في برمودا .الأمر الذي أثار دهشتي هو .أنني كنتُ في برمودا في نفس الوقت، أعمل فنيًا لاسلكيًا في سلاح الجو

.وفي أحد الأيام، أُرسلنا من قاعدة كينلي الجوية إلى ميناء هاميلتون، إلى جزيرة فيه، لصيانة بعض المعدات ،وقيل لنا إن بإمكاننا اتخاذ فندق على الشاطئ، كان الجيش قد استولى عليه، مقرًا لنا، وتناول وجباتنا هناك وهو ما فعلناه .والغريب أننا وجدنا هناك عددًا كبيرًا من المدنيين، ظننا أنهم مجرد مدنيين استعان بهم .الجيش للعمل في هذا المشروع السري الذي كنا نقوم فيه بصيانة المعدات

.على حد علمي، كان إيه جيه آير أحد هؤلاء، لأنه كان موجودًا هناك في ذلك الوقت تحديدًا .كنتُ أنا أيضًا لذا، انبهرتُ بقراءة سيرته الذاتية، لأننا مررنا مرور الكرام، كما لو كنا سفنًا في الليل أو قوارب في ميناء .هاميلتون .هذا ما قاله عن كيفية كتابة الكتاب

بدأتُ كتابة الكتاب فورًا وأنهيته في ثمانية عشر شهرًا، وعملتُ عليه بشكل شبه متواصل باستثناء فترات التدريس .لا أستطيع تصديق ذلك .لقد كتبتُ جميع كتبي الأخرى بخط اليد ، أما هذا الكتاب فقد كتبته على .الكمبيوتر بشكل غير متقن باستخدام إصبعين فقط

هذا يمنحني الشجاعة .لكن في النهاية، سأنتج نصًا مقبولًا .باستثناء أن الفصل الأول مقتبس من مقال في ."مجلة "مايند

لم أُعدّ مسودة أولية، بل كتبت ببطء لتجنب الحاجة إلى التصحيحات .كنتُ راضياً، واستمددتُ العزيمة من .هؤلاء؛ كنتُ راضياً إذا أسفر عملي اليومي عن صفحة واحدة من 300 كلمة .حسناً

وأعتقد أنني إذا استطعت كتابة عشر صفحات في يوم عمل مدته ثماني ساعات، فأنا أحقق إنجازاً جيداً .أخذ هو صفحة واحدة ، ثلاثمئة كلمة .لو استطعت تحقيق هذا الإنجاز يومياً، لكنت أنهيت الكتاب في ما يزيد .قليلاً عن ستة أشهر بدلاً من سنة ونصف

بما أن النص لم يتجاوز 60 ألف كلمة، فقد تساءل بعضكم عن طوله عندما بدأت .كلمات كثيرة مقابل ثمن زهيد .لو كنتُ قادراً على فعل ذلك يومياً، لكني كنتُ أواجه صعوبة في كثير من الأحيان، ليس لعدم معرفتي ما .أريد قوله، مع أن هذا يحدث أحياناً، بل لعدم قدرتي على تحديد الطريقة الأمثل للتعبير عنه

كنت أكتب بشغف، لكنني بذلت جهدًا كبيرًا لتوضيح فكرتي .حسنًا، لم يذهب هذا الجهد سدى .ما هي .عيوبه؟ لم يعانِ الكتاب من الغموض

بل يمكن اتهامها بالتضحية بالعمق من أجل الوضوح .باستثناء بعض التفاصيل، لم تكن الأفكار التي عبرت .عنها أصلية .بل كانت مزيجًا من النزعة الوضعية لحلقة فيينا، والتي كنت أنسبها أيضًا إلى فيتغنشتاين

إضافةً إلى النزعة التجريبية الاختزالية، التي استقيتها من هيوم وراسل .حسنًا، لا جديد في ذلك .إضافةً إلى .ذلك، انظروا إلى هذا، النهج التحليلي لجورج إي .مور وتلاميذه

والآن، ما الذي تتذكره عن جي إي مور؟ حسنًا، لقد كان واقعيًا، لا ظاهريًا .هذا لا يؤثر على آير .فهو لا يزال .ظاهريًا

لكن اهتمامه انصبّ على التحليل المفاهيمي لا التحليل المنطقي البحت .أجل، وستجد صعوبة بالغة في العثور في كتاب آير على ذلك النوع من النزعة الذرية المنطقية التي وجدناها عند راسل وفتغنشتاين .إنه تحليلٌ فاشل.

لكن أضف إلى ذلك أن مور، رغم كونه محللاً مفاهيمياً، لا يزال تجريبياً يُفرّق باستمرار بين العبارات التحليلية والتركيبية كما لو كانت هاتان الفئتان شاملتين .تذكر حجته في دحضه للمثالية حول مقولة "الوجود هو الإدراك ."لذا فإن تأثير مور، على الأقل، يُضفي طابعاً إنسانياً على اللغة والمنهج.

وتلك التي أُضيفت إليها لمسة من البراغماتية من سي آي لويس .سي آي لويس، براغماتي أمريكي من ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين .البراغماتية.

نعم، لأغراض عملية، كل ما تحتاجه هو فاعل ظاهراتي لتعتدّ به .ستجده يقول هذا الكلام .ثم يتابع قائلاً: لقد بدأتُ بمحاكمة موجزة وتطبيق عملي للميتافيزيقا، مستخدماً مبدأ التحقق كمسلّمة.

وبناءً على ذلك، يُجادل بأن الفلسفة، إن أرادت أن تُسهم إسهامًا مستقلًا في المعرفة، لا بد أن يقتصر دورها على ممارسة التحليل .فالفلسفة، وظيفتها الوحيدة هي التحليل .تحليل معنى اللغة بهدف إزالة الغموض والالتباسات في الفلسفة التقليدية، ولا سيما في الميتافيزيقا.

إذن، هذا هو المسار الذي سلكه، على حد تعبيره .حسنًا، هل لديكم أي أسئلة أو تعليقات؟ في المرة القادمة، سنتناول موضوع الذكاء الاصطناعي .على أي حال، لقد صمدتم، وصوتي صمد.

حسنًا، أعتقد أننا سننهي الأمر اليوم.